30 باباً لجلب الرزق

تأليف :

أنور بن إبراهيم النبراوي
باحث في الدراسات القرآنية والتربوية



30 بَابًا لجلب الرزق

تأليف

أنور الداوود النبراوي

باحث في الدراسات القرآنية والتربوية

ح أنور إبراهيم الداوود ، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الداوود، أنور إبراهيم

ثلاثون بابا لجلب الرزق. / أنور إبراهيم الداوود. - الرياض١٤٣٥ هـ.

ص ٨٣؛ . ١٧× ٢٥سم

ردمك: ٧-٤٦٠١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- كسب الرزق. ٢- الإسلام والعمل. أ. العنوان

ديوي ٢٥٣,٩ ١٣٤٥/٢٨٢٩

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٨٢٩

ردمك: ٧-٤٦٠١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

دار الحقيقة الكونية للنشر والتوزيع

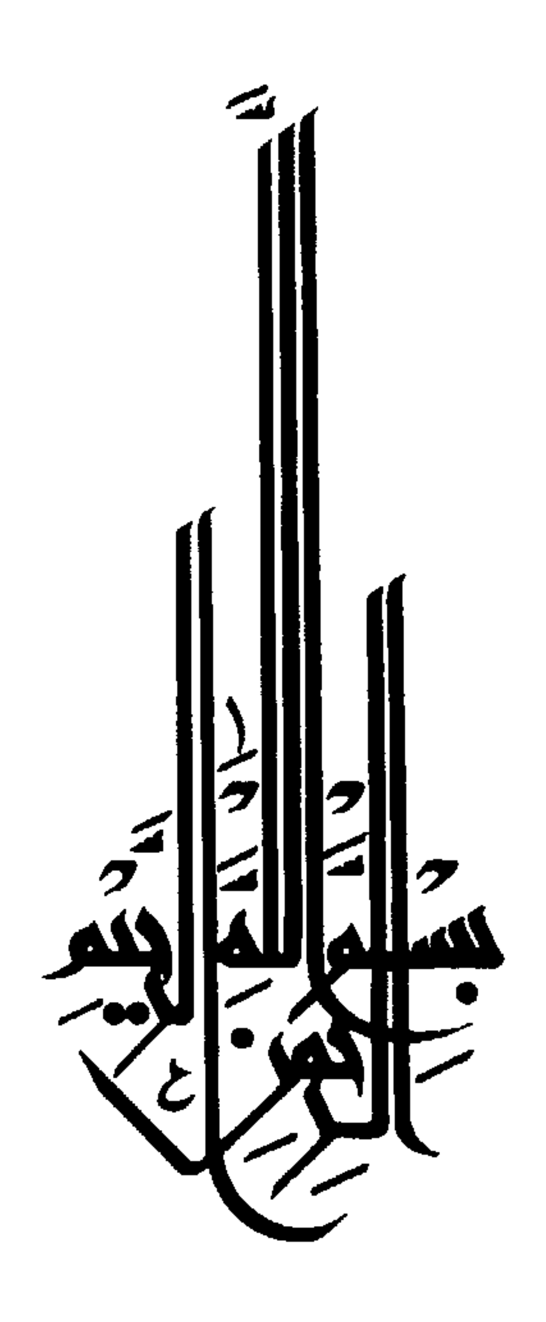
ص.ب ٢٦٥٢٠ - الرياض ١١٤٩٦

فاكس: ٢٦٩٣٥٣٤ ١١ ٩٦٦+

جوال: ٠٥٥٦٥٨٢٤٤١

Issa395@gmail.com




بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله القوي الرزّاق وكفى، والصلاة والسلام على النَّبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن بسنته اقتفى. خلق الله الإنسان، وجعله في دار اختبار وابتلاء: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢]، ثم جبله على حب الشهوات والملذات والأموال والأرزاق: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

إن من لطف الله الحياة مع ألطاف كتابه، والوقوف عند آياته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لتدل على أن الكون ما هو إلا عابد فقير هو الإنسان، ومعبود غني هو الكريم المنان، وهنا جاء التساؤل،لم ذُيِّلت آية العبودية بقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٧]، فبعد ذكر (العبودية) تلك القضية الكبرى في الحياة، يأتي ذكر الرزق، مُشغل القلوب والعقول، وهمُّ البشر جميعـًا، ومُفسد العبودية ذاتها، والصَّارف عن تحقيق كمالها.

فالآيات تلفت نظر العبد إلى تعظيم أمر العبودية، وأن العبادات مفاتيح الأرزاق، أما التعلق بالرزق، والانشغال الطويل في البحث عن الرزق هو سبب التقصير في العبادات وفسادها، ومن ثمَّ فساد الحياة وخسرانها؛ فالمعبود وحده هو الغني عن خلقه، الرازق للعالمين، الكامل في قوته وقدرته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، قد كتب رزق العباد وهم أجنَّة.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»**[1]

وهنا تطمئن النفس، ويهدأ البال، ويرتاح الضمير؛ بأن العبادات تجلب الأرزاق.

فكانت تلك هي قصة هذا الكتاب المتواضع في حجمه، اللطيف في نفعه بإذنه تعالى.

المؤلف

أنور الداوود النبراوي

الرياض - المملكة العربية السعودية

في ٢٦ رجب ١٤٣٥هـ الموافق ٢٥ مايو ٢٠١٤م

E-mail: hanlan1224@gmail.com

twitter: @AnwarAlnabrawi

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

أبواب الرزق

إضاءة

الله تعالى هو وحده الرَّزَّاق الذي يرزق جميع المخلوقات، يرزق من يشاء، وكيف يشاء، فما من مخلوق حي في العالم العلوي أو السفلي إلا وهو متمتع برزق الله جَلَّ وَعَلَا، ومغمور بكرمه وفضله وإحسانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وهو وحده الباسط الرازق، الذي تكفل بالأرزاق وضمنها لعباده، وأوجبها على نفسه العليَّة، بقدرته واختياره وكرمه، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غلا السعر على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: يا رسول الله سعِّر لنا قال: «**إنَّ الله هو المسعِّر**[١] **القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال**»[٢]

قد أودع الله في هذه الأرض الواسعة خزائن عظيمة؛ لتلبية حاجات جميع المخلوقات، والحشود الهائلة في هذا الكون والعالم الفسيح، وأودع في المخلوقات نفسها القدرة على اكتساب وجمع الأرزاق، والحصول عليها من مزروع أو مصنوع، أو مُرَكَّب أو خام أو غير ذلك مما أفاء وأكرم وأنعم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

ولو كانت الأرزاق تجري على الحِجَا   هَلَكْنَ إذن من جهلهن البهائمُ

لو أنَّ الله يعطي الرزق بحسب العقل والذكاء لهلكت البهائم لأنها جمادات لا تعقل.

---

(١) المسعِّر: الذي يرخص الأشياء ويغليها، يفعل ذلك هو وحده بإرادته.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٦ (١٤١٠٣) وأبو داود ٣٤٥١ والتِّرمِذِيّ ١٣١٤ وابن ماجة ٢٢٠٠ وصححه الألباني انظر صحيح وضعيف ابن ماجة رقم (٢٢٠٠).

الباب الأول

توحيد الهمِّ على الله

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»**(١).

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»**(٢).

فعلى العبد ألا ينزل حاجته إلا بالله، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»**(٣).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ(٤):

وذلك: أن الأسباب التي تحصل بها المقاصد نوعان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦١٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢٤٦٥) وابن ماجه (رقم ٤١٠٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (رقم ١٦٤٥) والترمذي (رقم ٢٣٢٦) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٥٦٦).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (١/ ٢٩٣ - ٢٤١).

نوع يشاهد بالحس، وهو القوة بالشجاعة القولية والفعلية، وبحصول الغنى والقدرة على الكسب. وهذا النوع هو الذي يغلب على قلوب أكثر الخلق، ويعلِّقون به حصول النصر والرزق، حتى وصلت الحال بكثير من أهل الجاهلية أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر، ووصلت بغيرهم إلى أن يتضجروا بعوائلهم الذين عُدم كسبهم، وفُقدت قوتهم، وهذا كله قصر نظر، وضعف إيمان، وقلة ثقة بوعد الله وكفايته، ونظر للأمور على غير حقيقتها.

النوع الثاني: أسباب معنوية، وهي قوة التوكل على الله في حصول المطالب الدينية والدنيوية، وكمال الثقة به، وقوة التوجه إليه والطلب منه.

وهذه الأمور تقوي جدًّا من الضعفاء العاجزين الذين ألجأتهم الضرورة إلى أن يعلموا حق العلم، أن كفايتهم ورزقهم ونصرهم من عند الله، وأنهم في غاية العجز. فانكسرت قلوبهم، وتوجهت إلى الله، فأنزل لهم من نصره ورزقه - من دفع المكاره، وجلب المنافع - ما لا يدركه القادرون. ويسر للقادرين بسببهم من الرزق ما لم يكن لهم في حساب؛ فإن الله جعل لكل أحد رزقًا مقدرًا.

وقد جعل أرزاق هؤلاء العاجزين على يد القادرين، وأعان القادرين على ذلك، وخصوصا من قويت ثقتهم بالله، واطمأنت نفوسهم لثوابه فإن الله يفتح لهؤلاء من أسباب النصر والرزق ما لم يكن لهم ببال، ولا دار لهم في خيال.

فكم من إنسان كان رزقه مقترًا، فلما كثرت عائلته والمتعلقون به، وسع الله له الرزق من جهات وأسباب شرعية قدرية إلهية.

ومن جهة وعد الله الذي لا يخلف: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]

ومن جهة دعاء الملائكة كل صباح يوم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

ومن جهة أن أرزاق هؤلاء الضعفاء توجهت إلى من قام بهم، وكانت على يده.

ومن جهة أن يد المعطي هي العليا من جميع الوجوه.

ومن جهة أن المعونة من الله تأتي على قدر المؤنة، وأن البركة تشارك كل ما كان لوجهه، ومرادا به ثوابه.

ولهذا نقول:

ومن جهة إخلاص العبد لله، وتقربه إليه بقلبه ولسانه ويده، كلما أنفق، توجه إلى الله وتقرب إليه. وما كان له فهو مبارك.

ومن جهة قوة التوكل، وثقة المنفق، وطمعه في فضل الله وبره. والطمع والرجاء من أكبر الأسباب لحصول المطلوب.

ومن جهة دعاء المستضعفين المنفق عليهم، فإنهم يدعون الله - إن قاموا وقعدوا، وفي كل أحوالهم - لمن قام بكفايتهم. والدعاء سبب قوي ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وكل هذا مجرب مشاهد. فتبًّا للمحرومين! وما أجل ربح الموفقين! والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (رقم ١٤٤٢)، وأخرجه مسلم (رقم ١٠١٠).

إضاءة

المالَ سلاحٌ ذو حدين، فهو نعم الرفيق المعين على كثير من أمور الحياة، إن كان في القلب إيمان وتقوى، فإنَّه نعم المال الصالح مع الرجل الصالح، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[(١)].

للمال دور فعال، وأهمية لا تنكر في الحياة، وفيه خير عظيم؛ لذا جاء إطلاق الخير على المال، موافقا لما هو مستقرٌّ في النفوس من حب شديد: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات: ٨]، بل تعلق عظيم وحب جمّ: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٠] واعتقاد لخيرية المال مطلقًا، لذا يطلق على المال الكثير خير: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة: ١٨٠] إذا حضر أحدَكم علاماتُ الموت ومقدماته وله مالٌ كثير فقد فرض الله عليكم الوصية، وذلك حق ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله.

والحب الشديد للمال أمر معلوم لا يُنكر، لكنَّ المذموم هو الافتتان به والاستشراف والتعلق الدائم، الذي يقود إلى عدم التورع في جمعه وسوء إنفاقه، حتى يصبح معبودًا من دون الله تعالى، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**»[(٢)].

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ ٦/ ٢٣٦(٥٠٢٥) و٩/ ١٨٩(٧٥٢٩)، ومسلم ٢/ ٢٠١ (١٨٤٦و١٨٤٧)، وابن ماجه (٤٢٠٩)، والترمذي (١٩٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ٤١(٢٨٨٦و٢٨٨٧) و٨/ ١١٤(٦٤٣٥)، وابن ماجه (٤١٣٥) و(٤١٣٦).

الباب الثاني

الإحسان

ذكرَّ الله بني إسرائيل بنعمته عليهم بالخيرات والأرزاق وبالزيادة إن هم أحسنوا، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة: ٥٨].

قلنا: ادخلوا مدينة بيت المقدس فكلوا من طيباتها في أيِّ مكان منها أكلًا هنيئًا، وكونوا في دخولكم خاضعين لله ذليلين له، وقولوا: ربَّنا ضَعْ عنَّا ذنوبنا. نستجب لكم ونعف عنكم ونسترها عليكم، وسنزيد المحسنين بأعمالهم جزاءً عاجلا وآجلا، من خير الدنيا والآخرة.

وقال تعالى عن إحسانه لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٤].

فَمَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن رزقه ذرية صالحة طيبة، ووفقه وإياهم للحق، وهداهم لسبيل الرشاد، كما هدى نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ من قبلهم، وذلك جزاء لهم على إحسانهم في عبادة الله ببذل الجهد والنصح فيها، وإحسانهم لخلق الله ببذل النفع والخير لهم، وكما جزى الله هؤلاء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فإنه يجزي كل محسن بأن يثيبه في الدنيا والآخرة بحسب إحسانه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ بل يتقبل عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المحسنين الثواب الحسن لهم، فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ [النحل: ٣٠] لهم في الدنيا حياة حسنة، ومتعة حسنة، ومكانة حسنة؛ رزق واسع، وذرية صالحة، وثناء صادق، ونفس مطمئنة، وقلب منشرح، وعيشة هنية، ونصر وأمن وسرور، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فما أجزل الجزاء! حسنة في الدنيا القصيرة الأيام الهزيلة المقام تقابلها حسنة في الآخرة دار البقاء والدوام!

فيحسن العبد في اعتقاده ونيته؛ بأن يريد وجه الله، فيحبه ويرجو رضاه ورحمته، ويخشى سخطه وعقوبته، ويتذلل ويخضع لجلاله وعظمته، ويراقبه في السر والعلن. ويحسن العبد في سلوكه وعمله؛ بأن يخلص العمل لله، ويجعله موافقًا لما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يبذل الخير والنصح لعباد الله، ويؤدي الحقوق لهم، ويعاملهم بالرحمة والخُلُق الحسن. قال النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معرِّفًا لنا الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه[١].

وباب الإحسان بابٌ واسعٌ جامعٌ متضمن لأبواب الخير.



(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) ومسلم (رقم ٨).

إضاءة

مع قلة الإيمان وتقدم الزمان تتنوع الفتن بالإنسان، أما هذه الأمة فرأس تلك الفتن هو فتنة المال، عن كعب بن عياض رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**»[1]، والناس حين يسعون في طلب الرزق يعدُّون المال على رأس تلك الأرزاق، بل مفتاحها وأساسها، لذا يتنافس الناس في جمعه وعدِّه، إما للتباهي والتكاثر، أو خوفًا من الفقر وقلة الرزق، وحقيقة الأمر أنه أعلاها فتنة وزخرفًا.

ويظنّ كثير من الناس أن المال خيرٌ محض، أو أن المال كلُّه خير، وأن الخير كل الخير في جمعه وكنزه، ولذا ترى كثيرًا من الناس يُقبلون ويتهافتون على أهل الأموال ويتقربون إليهم بوسائل شتى، باللقاء والإكرام تارة، وبالبشر والابتسامة تارة، وربما مالت القلوب وتعلقت بأرباب الأموال أكثر من تعلقها برب العالمين، والذي هو وحده رب جميع الأرباب ورب الخلق أجمعين.

رأيت الناس قد مالوا   إلى من عنده مالُ
ومن لا عنده مالُ   فعنه الناس قد مالوا

ثمَّ إنَّ الكثير من النَّاس قد فتن وأعجب بالمال والتكاثر به مع علمه بأنَّ الله قد تكفَّل برزق جميع ما دبَّ على وجه الأرض، تفضلًا منه ورحمة، وأن ذلك بمشيئته - تعالى - وحده، إن شاء رزق وأعطى، وإن شاء أمسك ومنع.

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٦٠ (١٧٦١٠)، والتِّرمِذي (٢٣٣)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٥٩٤).

الباب الثالث

شكرُ النعم

بالشكر تزيد النعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ [إبراهيم:٧] أي: واذكروا حين أعلم ربكم إعلامًا مؤكَّدًا؛ لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله، ولئن جحدتم نعمة الله ليعذبنَّكم عذابًا شديدًا.

ولابد من وقفة أمام هذه الحقيقة الكبيرة، حقيقة زيادة النعمة بالشكر، والعذاب الشديد على الكفر، نقف أمام هذه الحقيقة فتطمئن إليها قلوبنا؛ لأنها وعد من الله صادق لا بد أن يتحقق على أية حال. إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يُشكَر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة؛ ولأن النفس التي تشكر الله على نعمته تراقب الله في التصرف بهذه النعمة بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد.

وهذا مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عونًا، ويصلح روابط المجتمع، فتنمو فيه الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الظاهرة لنا في الحياة، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أولم يدركها، فهو حق واقع؛ لأنه وعد الله.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكر النعم، أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي، كأن هذه الطاقات ليست نعمة

من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكِبْر على الناس، واستغلالها للشهوات والفساد، وكله كفر بنعمة الله.

والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة بذهاب عينها، أو سحق آثارها في الشعور، فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها! وقد يكون عذابًا مؤجلًا إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء الله، ولكنه واقع؛ لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء.

وذلك الشكر لا تعود إلى الله عائدته، وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره، لأنه هو الغني الحميد.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنَّه قال: **«يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»**[١].



(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٧٧).



إضاءة

عند التأمل نجد أن الرزق يأخذ أشكالا مختلفة، وألوانًا متعددة، وآفاق رحبة؛ ليشمل كل ما ينتفع به الناس؛ فيطلق الرزق على الطعام، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧].

ويطلق الرزق على الغيث، فيسمَّى ماء السماء رزقا، حيث تحيا به الأرض، ويحيا به العباد والبلاد، قال جلَّ في علاه: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]، ومن الأرزاق الحديد حيث أنزله الله بمنافعه المتعددة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وأعظم الأرزاق نزول القرآن هدايةً للبشرية، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

وكما يكون الرزق في سماء الله العالية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذاريات: ٢٢]، كذلك هو في أرض الله الواسعة، التي قدَّر فيها الخيرات والأرزاق الطيبة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ [فصلت: ١٠].

كذلك يكون الرزق في الإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، والصحة والعافية، والسعادة وراحة البال، والزوجة الصالحة، والذرية الطيبة، والأمن والأمان، وغيرها من نعم الله التي يُنعِم بها على الناس أجمعين.

الباب الرابع

كيل الطعام عند البيع

عن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فيه**»[١].

أي: أخرجوا بكيلٍ معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدرتم، مع ما وضع الله من البركة في مد أهل المدينة بدعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

ويحمل على الطعام الذي يُشترَى، فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه بالاكتيال نزعت منه لشؤم العصيان.

قال ابن الجوزي: يشبه أن تكون هذه البركة للتسمية عليه عند الكيل[٣].

وقال ابن بطالٍ: الكيل مندوبٌ إليه فيما ينفقه المرء على عياله.

ويحتمل أن تكون البركة التي تحصل بالكيل بسبب السلامة من سوء الظن بالخادم، لأنه إذا أخرج بغير حسابٍ قد يفرغ ما يخرجه وهو لا يشعر، فيتَّهِم من يتولى أمره بالأخذ منه، وقد يكون بريئًا، وإذا كاله أمن من ذلك[٤].

وقيل: المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه، بشرط أن يبقى الباقي مجهولًا، ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل[٥].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢١٢٨).

(٢) شرح البخاري لابن بطال (١١/ ٢٦٢).

(٣) فتح الباري (٤/ ٣٤٦).

(٤) فتح الباري (٤/ ٣٤٦).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٧).



فقوله: (**يُبَارَكْ لَكُمْ**) قال المحب الطبري: إذا ادخرتموه طالبين من الله البركة واثقين بالإجابة، فكان من كاله بعد ذلك إنما يكيله ليتعرف مقداره، فيكون ذلك شكًّا في الإجابة، فيعاقب بسرعة نفاده، فإن الكيل عند المبايعة مطلوبٌ من أجل تعلق حق المتبايعين، فلهذا القصد يندب[١].

وأمَّا الكيلُ عند الإنفاق فقد يبعث عليه الشح فلذلك كُره.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا، حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ**»[٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلاَّ شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ[٣].

---

(١) فتح الباري (٤/٣٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٥١) ومسلم (رقم ٢٩٧٣).



إضاءة

حين تسعى هذه المخلوقات في طلب الرزق، فإنما تطلبه حسب سنَّة الله التي لا تحابي أحدًا، ولا تتخلف أو تحيد، إنما هو كسب طيب وكسب خبيث، وكلاهما يحصل من عمل وجهد، إلا أنه يختلف في النوع والوصف، وتختلف عاقبة المتاع بهذا وذاك.

لذا كان أعظم الرزق نفعا أكرمه وأطيبه، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والرشاد، **وهو نوعان:**

١- **رزق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح؛** فإنَّ القلوبَ لا تصلح ولا تفلح، كما إنها لا تقنع ولا تشبع حتى يحصل لها العلم بالحقائق النافعة والعقائد الصائبة، ثم التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة.

٢- رزق **الأبدان؛** بأن يُغْني الله عبده بأمرين ينبغي للعبد أن يستحضرهما بقلبه إذا دعا ربه في حصول الرزق وهما: أن يغنيه بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه.

وما يتلو ذلك من خصوص؛ من زوجة صالحة، وابن بارٍّ، ورفيق صادق، ومنهج قيِّم واضح، ووقت مبارك، وراحة بال، وتوفيق من الله لكل عملٍ صالح، وعلمٍ نافع، ونفسٍ زكية، وسلامة قلب، وطهر سريرة، وأمن في الدور، وعافيةٍ في الأبدان، وقناعةٍ وكفاف، إلى غير **ذلك من** عطايا ربنا الكريم، جلَّ في علاه.



الباب الخامس

الأولاد والذرية

إنَّ في الذرية والمكاثرة بها دليل على الإيمان واليقين برزق الله، كما أنها دليل على عمق الاستجابة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حينما دعا إليها.

عن معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»[1].

لذا كان الجزاء من الله أن يوسع على العبد في الرزق يوم يخشى العبد من الفقر بسبب كثرة الأبناء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

فإن الله سبحانه تكفل برزق الآباء والأبناء، فلا يُقتل الأبناء خشية الفقر، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم.

فحيث كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فبدأ برزق الآباء؛ لأنه الأهم هاهنا، أي: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق.

وفي سورة الإسراء قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء:٣١] أي: خشية حصول فقر في الآجل ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم.

---

(١) سنن أبي داود (رقم ٢٠٥٠) وسنن النسائي (رقم ٣٢٢٧) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (رقم ٤٠١٧).

أي: لاتخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله.

وفي جميع ما سبق تحذير من الله عَزَّوَجَلَّ من قتل الأولاد خشية العجز عن القيام بإعاشتهم؛ وذلك أنَّ العَرَبَ في الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم كلَّما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يَئِدُون البنات خَشْيَةَ العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الافتقار.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» ثم تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾[1] [الفرقان:٦٨].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٠٠١) ومسلم (رقم ٨٩).



إضاءة

كان المعلم الأول ﷺ كثيرا ما يدعو ربه الرزّاق، طالبا وسائلا الرزق من الله وحده، عن ابن عباس رضي الله عنهما في صفة صلاة النبي ﷺ، أنه كان يقول بين السجدتين: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي**»[١].

قال النووي رحمه الله: «فالاحتياط والاختيار أن يجمع بين الروايات، ويأتي بجميع ألفاظها؛ وهي سبعة .... » ثم ذكرها[٢].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ. قَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي**» فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**»[٣].

فقوله: «وارزقني» أي: هب لي يارب ما تصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به تصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه.

---

(١) أخرجه أبوداود (٨٥٠) و ابن ماجه ٨٩٨ والتِّرمِذي ٢٨٤ وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل رقم (٣٣٥).

(٢) المجموع (٣/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٣٥٣ (١٩٣٢٠) و٤/ ٣٥٦ (١٩٣٥١) و٤/ ٣٨٢ (١٩٦٢٩) وأبو داود ٨٣٢ والنَّسَائي ٢/ ١٤٣، وحسّنه الألباني، انظر صحيح أبي داود رقم (٧٨٥).

الباب السادس

طلب العلم

لا يخفى على لبيب فضل العلم وبركته، كيف لا والله تعالى قد وصف نفسه بالعليم، بل وأمر بالعلم في أعظم قضية وهي وحدانيته، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فإن ثمرة العلم معرفة الله الرزاق، ومعرفة أسباب الرزق وفضائل الأعمال الصالحات وبركتها وأثرها في سعة الرزق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ!**»[1]

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم، فهانوا عليهم.

أي: لو أن أهل العلم الشرعي حفظوا العلم عن المهانة بحفظ أنفسهم عن المذلة وملازمة الظلمة ومصاحبة أهل الدنيا طمعا لما لهم من جاههم ومالهم، وعن الحسد فيما بينهم، ووضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنه، ووضعوه عند العلم الذين يعرفون قدر العلم من أهل الآخرة ويلازمون العلماء، فإن العلم

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٤٥) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠٨٧).



يؤتى ولا يأتي، لفاقوا بالسيادة وفضيلة السعادة أهل زمانهم كمالا وشرفا؛ لأن من شأن أهل العلم أن يكون الملوك فمن دونهم تحت أقدامهم وأقلامهم، وطوع آرائهم وأحكامهم.

(**ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا**): بأن خصوهم به أو ترددوا إليهم به (لينالوا به من دنياهم): لا لأجل الدين بالنصيحة والشفاعة وغيرهما (فهانوا عليهم): فذلوا قدرا مستثقلين على أهل الدنيا[1].

قال الطيبي: وذلك لأن العلم رفيع القدر يرفع قدر من يصونه عن الابتذال، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٣١).



إضاءة

ولا يليق بالعبد المسلم أن يعبد الله ويدعوه قائلا: «اللهم ارزقني» وهو مقيم على أكل الحرام، ويسعى جاهدًا في طلب الرزق من أي باب شاء، من حلال أو حرام.

ولكن يسأل ربه الرزق الحلال وهو مجتنب وحذر من أكل الحرام؛ المانع لاستجابة الدعاء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!**»(١).

وتلك هي حياة الرضا والقناعة برزق الله الذي قد قُدِّر وكُتِب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٨ (٨٣٣٠) ومسلم ٢٣٠٩ والتِّرمِذي ٢٩٨٩.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣١٠ (٨٠٨١) والتِّرمِذي وقال: هذا حديثٌ غريب، وحسّنه الألباني لغيره، انظر الصحيحة (٩٣٠).

الباب السابع

التقوى والإيمان

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

يفتح سبحانه بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالثمار، وذلك متى ما حقق العبد تقوى الله تعالى ظاهرًا وباطنًا بترك جميع ما حرَّم الله، فإنَّ الأرزاق تأتيه من غير عناء ولا تعب؛ لأنه في حفظ الله وتوفيقه، ومحاط بالعون والنصر والتأييد، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤] ومن كان الله معه فسوف تتفتح أمامه للرزق الأبواب، وتتيسر له في ذلك الأسباب، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق: ٤].

وفي حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»(١). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

عليك بتقوى الله إن كنت غافلا ... يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٢١٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٢٠) والحاكم في المستدرك (رقم ٧٩٢٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في ظلال الجنة (رقم ٤٢٠).

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

أي: ومن يتق الله بفعل المأمور وترك المحذور فإن الله يسوق له الرزق من وجه لا يشعر به ولا يخطر بباله ولا يرجوه ولا يأمله.



إضاءة

أخبر الله تعالى أنَّه خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، ثم إنه سبحانه جعل العبادات تجلب الأرزاق للعباد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، فمن أطاعه جازاه أحسن الجزاء ووسع له الرزق في دنياه بجنة وراحة في قلبه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، ثم في الآخرة رزق عظيم ونعيم مقيم: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

أما إن بالغ العبد وانهمك في البحث عن الرزق فإن ذلك يفسد عليه عبادته لربه الرزاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ هو المتكفل بالرزق، كثير الرزق، غني عن الخلق، ومن تمام قوَّته وكمالها أنه أوصل رزقه للعالمين: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

جميع ما دبَّ على الأرض تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، ورِزْقُهم جميعًا على الله.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ يعلم مكانها الذي تقيم فيه وتأوي إليه، ثم مكانها الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، بل ويعلم عوارض أحوالها.

﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علمه بذواتها وصفاتها.



الباب الثامن

الرضا والقناعة

إنَّ القناعةَ ركنٌ من أركان التقوى، فقد جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعريف التقوى بأنها: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**»(١) لاسيما وأنه تعالى قسَّم الأرزاق، وقدَّر المقادير، فعلى العبد أن يحسن الطلب.

عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(٢) أي: اطلبوا الرزق طلبًا جميلاً بأن ترفُقوا أي تُحسنوا السعي في نصيبكم منها بلا كد وتعب، ولا تكالب وإشفاق، ومن إجماله اعتماد الجهة التي هيأها الله ويسرها له ويسره لها، فيقنع بها ولا يتعداها، ومنه ألا يطلب بحرص وقلق وشره ووَلَهٍ حتى لا ينسى ذكر ربه ولا يتورط في شبهة، فيدخل فيمن أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ [النور: ٣٧].

ثم بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجه الأمر بذلك بقوله: «**فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (رقم ٢٣٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (رقم ٢١٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤١٨) والحاكم في المستدرك (رقم ٢١٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في ظلال الجنة (رقم ٤٢٠).



أي: كل أحد من الخلق مهيأ ومصروف لما قُدِّر له من الرزق، وأن رزقه سيأتيه لا بد، فإن الله تعالى قد قسَّم الرزق وقدَّره لكل أحد وفق حكمته، لا يتقدم الرزق ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص، بل بحسب إرادة الله وعلمه الأزلي.



إضاءة

إنَّ النعم والفضل والإحسان جميعه من عند الله العزيز الكريم المنَّان: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم٣٢-٣٤].

هو الذي خلق السماء سقفا محفوظًا، وجعل الأرض فراشًا وبساطًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيَّار ماء البحر، لتجري عليه السفن بأمر الله الحكيم، ويسَّر لكم صنعتها وأقدركم عليها، ثم حفظها فوق الموج لتحملكم، وتحمل تجاراتكم وأمتعتكم إلى بلد تقصدونه، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ لتسقي حرثكم وأشجاركم وتشربوا منها، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ وذلَّل الله لكم الشمس والقمر لا يفْتُران عن حركتهما؛ لتتحقق المصالح بهما، وذلَّل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتستريحوا، وذلَّل لكم النهار؛ لتبتغوا من فضله، وتدبِّروا معايشكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ وأعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدُّوا نِعَم الله عليكم لا تطيقوا عدها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها؛ لكثرتها وتنوُّعها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ إنَّ الإنسان لَكثير الظلم لنفسه، كثير الجحود لنعم ربه.



الباب التاسع

ذكر الله

عن سليمان بن يسار، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رجل من الأنصار أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ نُوحٌ لِابْنِهِ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ، وَقَاصِرُهَا كَيْ لا تَنْسَاهَا، أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمَّا اللَّتَانِ أُوصِيكَ بِهِمَا فَيَسْتَبْشِرُ اللهُ بِهِمَا وَصَالِحُ خَلْقِهِ، وَهُمَا يُكْثِرَانِ الْوُلُوجَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، أُوصِيكَ بِـ(لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ كَانَتَا حَلْقَةً قَصَمَتْهُمَا، وَلَوْ كَانَتْ فِي كَفَّةٍ وَزَنَتْهُمَا، وَأُوصِيكَ بِـ(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) فَإِنَّهَا صَلاةُ الْخَلْقِ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ» ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] «وَأَمَّا اللَّتَانِ أَنْهَاكَ عَنْهُمَا فَيَحْتَجِبُ اللهُ مِنْهُمَا وَصَالِحُ خَلْقِهِ؛ أَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ**»(١).

والذكر قوة للروح والبدن، يبعث على الهمة والنشاط، فيساعد ذلك في الجد في العمل وطلب الكسب، ومن ثمَّ الحصول على الرزق، ولذلك كان توجيه النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن يجعلا ختام يومهما هو ذكر الله، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(٢).

---

(١) أخرجه النسائي (رقم ١٠٦٠٠) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٣٦١).

إضاءة

أهل العقول السليمة هم أهل التفكر في آيات الله وأرزاقه في كل الأحوال، فإنَّ في السموات السبع والأرض، وما فيهما من المخلوقات والأجناس والأنواع، وفي خَلْق الناس، وما تفرق من دواب، حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [الجاثية: ٣-٤].

وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وما أنزل الله من السَّماء من مطر، فأحيا به الأرض بعد يُبْسها، فاهتزت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح من جميع الجهات لأجل منافع الخلق، علامات وبراهين لقوم يعقلون، فهو القادر وحده على رزق العباد، الحاضر منهم والباد، قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٥]، هو الله الذي لا إله إلا هو، يُظهر نعمه العظيمة على عباده، ويُرِيهم آياته؛ ليدلِّلَ لهم على كل مطلوب ومقصود، ويوضِّح لهم الهدى من الضلال.

ومن تلك الآيات العظيمة الدالة على الرزاق الكريم، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر:١٣]، أنزل المطر تُرزقون وتعيشون به أنتم وبهائمكم، وأخرج به من الخيرات والبركات، مما هو مشاهد بالحس، ثم إن ذلك الرزق ماء واحد، ولكن بقدرة الله العظيم كان ذلك التفاوت بين تلك الأشياء، مما هو مختلف في ألوانه وأشكاله، ومتباين في طعمه وجماله، ثم هو لا يخفى على كل عاقل ولبيب، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ وما يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها إلا من هو بصير منيب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

الباب العاشر

البكور والسعي في الأرض

إنَّ التوكلَ لا يقتضي ترك السعي والأخذ بالأسباب الظاهرة التي من أعظمها الجد واغتنام الأوقات بالبكور، كما صوَّر القرآن ذلك؛ حيث أقسم الله بالخيل العاديات، وهي التي تعدو مسرعة في أول الصباح، تصبِّح القوم بغتة: واصباحاه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ [العاديات: ١-٣] وكما صوره النَّبِيِّ ﷺ في حال الطير «**تغدو خماصًا**» تسعى إلى أرزاقها مع الغدو والبكور في الصباح، دون كسل أو تواكل.

وعن صخرٍ الغامدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا، بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ[(١)].

فلا ينبغي للمرء أن يقعد عن السعي في كسب الرزق وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولكن السماء والأرض مليئتان بالأرزاق الكافية لجميع المخلوقات، حين تطلبها هذه المخلوقات حسب سنة الله التي لا تحابي أحدًا، ولا تتخلف أو تحيد، إنما هو كسب طيب وكسب خبيث، إلا أنه يختلف في النوع والوصف، وتختلف عاقبة المتاع بهذا وذاك، وكلاهما يحصل من عمل وجهد ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ [الملك: ١٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٢٦٠٦) والترمذي (رقم ١٢١٢) وقال: حديث حسن. وابن ماجه (رقم ٢٢٣٦) وأحمد (رقم ١٥٤٣٨) انظر صحيح أبي داود (٢٣٤٥) والسلسلة الضعيفة (٤١٧٨).

إضاءة

إن الأرزاق والنعم لا تنسب إلا إلى الله وحده، ولا تسأل إلا منه عَزَّوَجَلَّ، وإن المؤمنين ليثنون على الله ويصفونه بما هو أهله عند الدعاء وطلب الأرزاق؛ ليجيبهم ربهم على سؤالهم كرمًا منه وفضلًا، قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة:١١٤].

سأل عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **ربه أن ينزِّل مائدة من السَّماء**، وجمع في سؤاله بين جميل الثناء، وأن نزول المائدة عظة وعيدًا يُعظَّم فيه الله عَزَّوَجَلَّ، وموسما يتذكر به الناس هذه الآية العظيمة، ﴿عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين، ﴿وَءَايَةٗ مِّنكَ﴾ وتكون علامة وحجة على وحدانيتك وقدرتك، وعلى إجابتك دعوتي، وصدق نبوتي، ثم بعد الثناء جاء الدعاء بطلب الرزق محفوفا بالثناء على الله بأنه أكرم من يرزق العباد: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين، فجمع بين مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، بأن تكون رزقًا واسعًا.

وحين رأى زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **ما منَّ الله به على مريم من رزق هنيء أتاها بغير سعي ولا كسب ولا تعب**، فوجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران:٣٧]. هو رزقٌ من عند الله عَزَّوَجَلَّ وحده فضلا وإحسانا، من غير جهد ولا حسبان من العبد، بل رزق وكرامة يسوقها الله، حينها توجه زكريا يدعو ربه بأن يرزقه ذرية طيبة، طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل بهم النعمة الدينية والدنيوية: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨].

الباب الحادي عشر

الصلاة

كيف لا وفي الصلاة أعظم اتصال بالرزاق العليم! وفيها من التضرع والدعاء والتقوى ما الله به عليم! قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢].

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الصلاة بإقامتها بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك شاق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك والاصطبار عليها، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع.

ثم ضمن تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرزق، وألا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: رزقك علينا قد تكفلنا به كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا واشتغل بذكرنا! فإن العبد إذا أقام الصلاة بحدودها وأركانها وشروطها وخشوعها آتاه الرزق من حيث لا يحتسب.

قال الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نكلفك الطلب.

ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو التقوى، ولهذا قال: ﴿وَالْعَٰقِبَةُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها كان له حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهي الجنة، كما قال تعالى ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

قال ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.

إضاءة

إنَّ رزقَ الله لا يختص ببقعة أو فئة دون أخرى، بل هو رزقٌ عام لجميع مخلوقاته حيثما كانوا، وأينما توجهوا وساروا، فقد تكفَّل سبحانه بأرزاق الخلائق كلهم، القوي منهم والضعيف، والقادر منهم والعاجز، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٠]. كم مِنْ دَابَّةٍ في الأرض، ضعيفة البنيان، ناقصة العقل، لا تملك رزقًا، ليس معها من القوت شيء، بل لا تطيق جمع الرزق وتحصيله، ولا تؤخِّر شيئًا لغد ولا تدّخره، وهي في حاجة واحتياج، ثم اللّه يسخِّر لها الأرزاق كل حين.

﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: الله يقيض وييسر لكل دابة رزقها على ضعفها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ويناسبه، حتى الذرّ في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، ويرزق الحيوان والنبات، فكيف بالبشر أكرم المخلوقات، إنه الله وحده من يرزق جميع الدواب، هو القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، هو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه خافية، ولا يغفل سبحانه عن رزق مخلوق.

قد مكَّن الله للناس في الأرض، وجعل لهم فيها قرارًا، وجعل لهم فيها ما يعيشون به من مطاعم ومشارب، وصرَّف البشرية في الأرض في صنوف من الأسباب والمعايش، من الحرث ومن الماشية ومن أنواع المكاسب والحِرَف، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر:٢٠]، ومعايش جمع معيشة، والمراد: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء تستخدمونها، وأنعام تأكلونها، ودواب تركبونها؛ لنفعكم ومصالحكم، وليس عليكم رزقها، بل خوَّلكم الله إيَّاها، وتكفَّل بأرزاقها، فلهم هم المنفعة، والرزق على الله، رغم أن شكر الإنسان لنعم الله قليل، ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الباب الثاني عشر

الهجرة

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً....﴾ [النساء: ١٠٠].

والسعة هي ما يكون في مصالح الدنيا، لذا كانت أرزاق المهاجرين حين هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم قبل هجرتهم كانوا من أشد الناس فقرًا وضعفًا، ثم لم يلبثوا أن صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج:٥٨].

يخبر تعالى عمَّن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلبًا لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخِلَّان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله، ثم قُتل في الجهاد أو مات حتف أنفه من غير قتال، فقد حصل على الأجر الجزيل والثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: ليُجْرِيَنَّ عليهم من فضله ورزقه في البرزخ وفي يوم القيامة ما تقر به أعينهم بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، رزقًا واسعًا حسنًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ أي: الجنة. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة نعيم، كما قال هاهنا: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.



إضاءة

إن الله جل في علاه يعطي الرزق لمن شاء، وكيف شاء، هو سبحانه ذو المنِّ والعطاء، عطاؤه وكرمه بغير حساب ولا حدود، يبسط الخير على العباد والبلاد، ويوسع رزقه حيثما أراد، سواءً كان الناس شاكرين لنعمه أو جاحدين، مؤمنين كانوا أو كافرين، قال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾ [البقرة:٢١٢].

فقد زين الله الحياة الدنيا للذين جحدوا وحدانيته، وحسَّنها لهم بما جعل فيها من الشهوات والملذات، وهم يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون.

أما المتقون الذين يخشون ربهم، فإن الله يرزقهم في الدنيا من الطيبات، ثم يجعلهم يوم القيامة فوق جميع الكفار؛ حيث يدخلهم الله الجنة ويجعلهم في أعلى الدرجات، ويدخل الكافرين النار ويجعلهم في أسفل الدركات، وهنا يأتي رزق الله للمؤمنين، قد امتدت نسائمه الزكية من دار الدنيا إلى الدار الآخرة، حيث يرزق الله من يشاء من عباده، رزقا كثيرًا وافرًا، بلا حصر ولا تعداد.

وإن الأرزاق الدنيوية والأخروية، لا تحصل إلا بتقدير الله، ولا تنال إلا بمشيئته: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ يرزق من يشاء ويعطي العطاء الجزيل في الدنيا والآخرة، ويمنع رزقه ويصرفه عمن يشاء، فهو الرزاق الكامل في رزقه، القابض الباسط، الذي يوسِّع الرزق ويضيِّقه، ويُغني ويُفقر، ويُعز ويُذل: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) ﴾ [الرعد:٢٦]. فرحوا بما أوتوا في الحياة الدنيا وأَشِرُوا وبَطِرُوا، وقد كان استدراجًا لهم وإمهالًا، وهو فرح أوجب لهم أن يطمئنوا بالدنيا، ويغفلوا عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم.

الباب الثالث عشر

التوكل على الله

وهو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله وفعل الأسباب، وفيه التبرؤ من الحول والقوة إلا من الله؛ لذا فهو باب عظيم من أبواب الرزق؛ ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[1].

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ...﴾ [الفرقان: ٥٨] فوِّض أمورك إلى الله باعتماد قلبك عليه في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: أن الله كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي، العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما اقتضت الحكمة الإلهية تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه.

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (رقم ٤١٦٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٠).

إضاءة

وقد جاء السياق القرآني صريحا يؤكد الابتلاء بالرزق، سواء في البسط والسعة، أو في التضييق، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر:١٥-١٦].

وهنا يخبر الله – جل في علاه – عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تنزل به تستمر ولا تزول، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فإذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، ظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرمن. وإذا ما اختبره ربه ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي: ضيقه، ظن أن هذا إهانة له من الله. فيقول تعالى منكرًا على الإنسان ذلك: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، بل هو ابتلاء وامتحان. فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل الأحوال، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على الخير والعطاء، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر على الشر والعناء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنوان سعادة المرء ثلاثة: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.





الباب الرابع عشر

العمل بطاعة الله والإكثار من الحسنات

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**»[1].

أي: لا يضيع أجر حسنة المؤمن ولا ينقصها، بل يعطي المؤمن بتلك الحسنة أجرًا في الدنيا، وهو دفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك، ويجازيه عليها برفع درجاته في الجنة، فهو يجازَى على حسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا كأن فك أسيرًا أو أنقذ غريقًا «**فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا**» أي: يجازَى فيها على ما فعله من القُرَب التي لا تحتاج لنية؛ بنحو توسعة لرزقه، ودفع مصيبة، ونصر على عدو، وغير ذلك.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البدن، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإنَّ للسيئة لظلمةً في القلب، وسوادًا في الوجه، ووهنًا في البدن، وضيقًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق. قال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٨].



(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٨٠٨).

إضاءة

يبتلي الله العباد ببسط الرزق وقبضه؛ ليعلم شكرهم وصبرهم. وغالب الناس - إلا من رحم الله - عند العطاء يفرح ولا يشكر، وعند البلاء يسخط ولا يصبر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ ﴾ [الروم:٣٦-٣٧]. إذا ذاق الناس من الله نعمةً مِن صحةٍ وعافيةٍ ورخاء، فرحوا بذلك فرَحَ بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرَحَ شكرٍ وذِكر، وإن يصبهم مرض أو فقر أو خوف أو ضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم؛ إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك، وتلك هي طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾، فهو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله، فيوسع على قوم ويضيّق على آخرين، فإذا علم العبد أن الخير والشر من اللّه، وأن سعة الرزق وضيقه من تقدير الله عَزَّوَجَلَّ، فالقنوط حينها ضائع، ليس له محل، حينها لا ينظر العاقل لمجرد الأسباب، بل يجعل نظره لمسببها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧﴾، فهم الذين يعتبرون ببسط اللّه لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة اللّه ورحمته وجوده، وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.



الباب الخامس عشر

صلة الرحم

بالصلة يحصل للعبد طيب العيش والأمن، وكثرة البركة في الرزق إذا قرنها بتقوى الله.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1]. ومعنى يبسط: يوسع. ويُنسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره.

ولا يناقض هذا قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف:٣٤] فقيل في الجمع بينهما: إن المراد بالحديث أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعة. وقيل: إنَّ الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملَك الموكَّل بالعمر، وأما الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله، كأن يقال للملَك مثلًا: إنَّ عُمْرَ فلان مائة مثلًا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملَك يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملَك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، وهذا القول هو الراجح.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٩٨٦) ومسلم (رقم ٢٥٥٧).

إضاءة

أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين بالأكل من الطيبات من الرزق ثم شكره عليها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢]، وهذا هو مقتضى الإيمان، وذلك باستعمال تلك النعم في طاعته ومرضاته، والتقوِّي بها على ما يوصل إليه عَزَّوَجَلَّ، هذا إن كانوا عبيدًا لله صادقين في عبوديته، فإن الله أمر عباده بما أمر به المرسلين، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. وعند تأمل الآيتين:

* في الأولى: ﴿كُلُواْ ...... وَٱشۡكُرُواْ﴾ وفي الثانية: ﴿كُلُواْ ......وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾. ليدل على أن العمل الصالح هو حقيقة الشكر.

* ولم يقل في الآية: «من طيبات ما رزقناكم حلالا»؛ لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة؛ ولأن إيمان المؤمن يحجزه عن تناول ما لا يحلّ.

* وتقديم الأمر بالأكل من الطيبات على العمل الصالح: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ يدل على أن أكل الطيبات سبب يعين على العمل الصالح، وسبب لقبوله.

* وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ دلالة على أنَّ المرء الذي يأكل من رزق الله ثم لا يشكر، لم يعبد الله حقًّا، كما أن من تنعم وشكر، فقد عبد الله وأتى بما أمر.

والشكر هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضاته وطاعته، وكفر النعمة ضد ذلك، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: ١٥].



الباب السادس عشر

التوسعة على الضعفاء

جعل الله التفاوت بين العباد في كل شيء، ومن ذلك وجود الفقراء والضعفاء، وهم في الحقيقة نعمة وفضل من الله على القادرين، حيث جعل الله الرزق والنصرة بسبب وجود الضعفاء ودعوتهم وعبادتهم والتوسعة عليهم، ويدخل في ذلك أيضًا الرفق بالبنات.

عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن له فضلًا على من دونه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**»(١) وفي رواية: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»(٢).

والسر في ذلك أن عبادة الضعفاء ودعاءهم أشد إخلاصًا وأكثر خشوعًا؛ لخلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحدًا؛ فزكت أعمالهم، وأجيب دعاؤهم. إن الضعفاء سبب للنصر وسبب للرزق، فإذا حنَّ عليهم الإنسان وعطف عليهم وآتاهم مما آتاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ كان ذلك سببًا للنصر على الأعداء، وكان سببًا للرزق؛ لأن الله تعالى أخبر أنه إذا أنفق الإنسان لربه نفقة فإن الله تعالى يخلفها عليه. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩](٣).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٨٩٦).

(٢) أخرجها النسائي (رقم ٣١٧٨).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ٩٠).



إضاءة

إن من تمام رزق الله، تسخير الأرض وتذليلها للخلق؛ حيث جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار؛ وكل ذلك لأجل طلب الرزق وحصول الكسب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥]. فسافِروا حيث شئتم من أقطارها، وأطرافها وفجاجها ونواحيها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، والسعي في السبب لا ينافي التوكل، وإن الله هو خالق الأسباب، واعلموا أن سعيكم لا يجدي شيئًا، إلا بتيسير الله؛ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ ثم إلى الله المرجع يوم القيامة والمصير، فاتقوه وراقبوه، لاسيما وأنتم تبحثون عن الرزق، لابد أن يكون ذلك وفق الحلال وفي ظل حدود الله ومرضاته.

وقد جعل الله الأرزاق في هذه الدنيا للناس أجمعين، أما في الآخرة فرزقه خالص للمؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢]. مَن هذا الذي يُقدِم على تحريم ما أنعم اللّه على عباده، ويضيق عليهم ما وسَّع اللّه وأباح لعباده ؛ وجعله عونا لهم على طاعته وعبادته: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، هي في الحياة الدنيا لمن آمن واتقى، يشاركه في ذلك الكافر والعاصي، أما يوم القيامة فخاصة وخالصة للمؤمنين، لا يَشْرَكهم فيها أحد، وذلك في الجنة دار الرزق العظيم المحرَّم على الكافرين.



الباب السابع عشر

الصدق

فالصدق طمأنينة ومنجاة، تجلب الرضا والبركة من الله، وتقي من محق بركة الرزق.

عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

والفرق بين الصدق والبيان:

أن الصدق فيما يكون مرغوبًا من الصفات، وضدّه وصف السلعة بما ليس فيها.

أما البيان فيما يكون مكروهًا من الصفات، وضدّه كتمان العيب.

(بورك لهما في بيعهما) وشرائهما بتسهيل الأسباب المقتضية لزيادة الربح، من كثرة الراغبين وحسن المعاملين ومنع الخيانة في المبتاع والحسد والعداوة المقتضية للخسران (وإن كتما) ما في السلعة من العيوب ونحوها (وكذبا) فيما يمدحانها (محقت) ذهبت وتلفت (بركة بيعهما) فلم يحصلا منه إلا على مجرّد التعب.

وربما ربح المرء بغير الصدق وجمع الأموال وفرح بها ثم اغتر بستر الله عليه، لكنه بعد ذلك لا يسعد بها إما في نفسه أو في أهله، فهو في شقاء وبلاء، وذلك بالمصائب الحسية أو المعنوية، شعر بذلك أم لم يشعر، في العاجل أو الآجل.(٢)

ولهذا كان التوجيه الرباني الكريم أن يلازم العبد بعد التقوى أهل الصدق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٧٩) ومسلم (رقم ١٥٣٢).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢١٧)



إضاءة

وفي ثنايا تلك النعم والطيبات والاستمتاع في تناولها، جاء التحذير بقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام:١٤٢].

كلوا من رزق الله ثم احذروا طرق الشيطان وأعماله التي من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن للشيطان خطوات تعمل في كل اتجاه، لاسيما ما يختص بالرزق، فهو يحبب للمرء جمع الأموال والأرزاق من كل باب، وإن كان ذلك من الشبهات أو الحرام، وتحريم الطيبات من خطوات الشيطان، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فلا يأمركم إلا بما فيه مضرتكم وشقاؤكم الأبدي. فربما بالغ المرء في جمع الأموال والأرزاق حتى يشغله ذلك عن عبادة العليم الرزاق، وينسى أن الله سائله عن أمانة الدين وسائر الأمانات في يوم عظيم، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1].

فالمال حلاله حساب، وحرامه عذاب، لذا قال: «وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه».



(١) أخرجه الترمذي «٢٤١٧» وصححه الألباني انظر حديث رقم: ٧٣٠٠ في صحيح الجامع.

الباب الثامن عشر

الدعاء وتعلق القلب بالله

عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»(١).

ومن الأدلة ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ورد ماء مدين ثم تولى إلى الظل والتجأ إلى الله بالدعاء قائلا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] ولهذا كان في شرع رسول الله محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصلاة في الجلسة بين السجدتين أن يقول العبد: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْفَعْنِي**»(٢).

ومعنى «**اللهم ارزقني**» أي: ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه.

وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧] اطلبوا الرزق من الله لا من غيره، فإنه القادر على ذلك وغيره لا يملك شيئًا، فكلوا من رزقه واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٧٧).

(٢) أخرجه أبوداود (رقم ٨٥٠) وابن ماجه (رقم ٨٩٨) والترمذي (رقم ٢٨٤) وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل رقم (٣٣٥).

إضاءة

من تمام هذا الدين وكماله، ومن محاسنه وجماله، ذلك التوازن في التشريع بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ أمر الناس أن يعبدوه وحده ويطيعوه، وفي ذات الأمر والوقت أمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويتنعَّموا بنعمه وفضله، مستصحبين شكر الله، ومسخِّرين تلك النِّعم في طاعته ومرضاته، فيجمعوا بذلك بين النِّعمة وشكرها، لتصلح الدنيا وتطيب الحياة، وتستنير الأرض وتسعد النّفوس المؤمنة، لا أن ينشغل البشر بجمع الحطام والجدِّ والاجتهاد في تحصيل الأرزاق ثم الإعراض عن الرزَّاق، تاركين دينه، جاحدين نعمه، معتمدين على مغفرته وحلمه، لسان حالهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣]، فيتقاعسون عن الطاعة، ويبارزون الله بالمعاصي، قد غاب عن قلوبهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فهذه الآية ليس لها رصيد من الواقع في حياة البعض، بل أصبح السعي والجري وراء الدنيا، واللهث في طلب الزيادة من المال، والاتكال والاعتماد في ذلك على النفس فقط.



الباب التاسع عشر

الزواج

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وزوِّجوا -أيها المؤمنون- مَن لا زوج له من الأحرار والحرائر والصالحين مِن عبيدكم وجواريكم، ويسِّروا أيها الأولياء للشباب أمور الالتقاء الحلال ومهِّدوا لهم سبيل الإعفاف، إن يكن الراغب في الزواج للعفة فقيرًا يغنه الله من واسع رزقه. والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده، ولا يثقله إغناء الناس، فعطاء الله دائم لا ينقطع؛ لأن خزائنه لا تنفد ولا تنقص. والظاهر أن المتزوج الذي وعده الله بالغنى، هو الذي يريد بتزويجه الإعانة على طاعة الله بغض البصر، وحفظ الفرج.

قيل الغنى ها هنا: القناعة. وقيل: اجتماع الرزقين، رزق الزوج ورزق الزوجة.
وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

كثيرًا ما تغلق الأبواب في وجه المرء العَزَب، أو يتعسر عليه البحث عن عمل يغنيه عن الناس، أو كان عاملًا يجتهد ويكدح ويكسب رزقه، لكنه كثيرًا ما يصرف أمواله ويبعثرها ويبددها، وحين يتزوج يبارك الله له في ماله وفي نفقاته، ويُرزق رُشدًا وحكمة في صرفه وإنفاقه على نفسه وعلى من يعول.

إضاءة

لا يدرك الكثير من الناس - حقيقةً - أنَّ الله هو الرزاق، كإدراكهم بأنه هو الغفور الرحيم؛ ومن ثَمَّ وقع سوء الظن في قلوبهم، واعتمدوا على أنفسهم في طلب الرزق، فانشغلوا بالرزق ولقمة العيش عن العبادة والطاعة، وحينها تفسد الأرض بعد أن أصلحها الله، ويظهر الفساد في البر والبحر، ويجيء بأسُ الله، ويحل البلاءُ والعناءُ والشقاءُ.

وكلَّما تعلقت النفوس بالمال، وتشرَّبته القلوب، زاد المال بلاء وفتنة، فعَظُم حبُّه وقُدِّم على طاعة الله، وعلى الحقوق والواجبات، بل وعلى كل شيء، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٧ - ٢٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ**»(١).

قال الشاعر:

تَقُولُ مَعَ العِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ ... صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالمَشِيئَةِ
وربُّك رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ ... فَلِمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ؟
فَكَيْفَ تُرَجِّي العَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ... وَلَسْتَ تُرَجِّي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةِ؟
عَلَى أَنَّه بِالرِّزْقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ ... لِكُلٍّ وَلَمْ يَكْفَلْ لكلٍّ بِجَنَّةِ
فَلَمْ تَرْضَ إِلَّا السَّعْيَ فِيمَا كُفِيتَه ... وَإِهْمَالَ ما كُلِّفْتَهُ مِنْ وَظِيفَةِ
تُسِيءُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً ... عَلَى حَسْبِ مَا يَقْضِي الهَوَى بِالقَضِيَّةِ



(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٥(٩٦١٨) والبُخاري ٢٠٥٩ و٢٠٨٣.



الباب العشرون

الجهاد في سبيل الله

فهو ذروة سنام الإسلام، به يتحصل الناس على الغنائم التي وعد الله عباده، لذا جاء الأمر به. والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

وفي الجهاد حصول وعد الله في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح: ٢٠] وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمون إلى يوم القيامة، فعجَّل لكم غنيمة خيبر، فلا تحسبوها وحدها، بل ثَمَّ شيء كثير من الغنائم سيتبعها، واحمدوا الله إذ حماكم ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ القادرين الحريصين على قتالكم، فهي نعمة، وتخفيف عنكم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الغنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعده الحق، وثوابه للمؤمنين، وأنَّ الذي قدرها سيقدر غيرها ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ بما يقيض لكم من الأسباب: من العلم والإيمان والعمل.

---

(١) أخرجه أحمد (رقم ٥١١٤) وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).



إضاءة

إنَّ من كرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإحسانه على عباده أن كرَّمهم بالعلم والعقل والهدى، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠]. ثم إنه سبحانه أتم تلك النعم والفضائل على عباده ظاهرة وباطنة، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

ظاهرة: من زروع وثمار، ولحوم وألبان، وسائر أنواع الغذاء والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنع الناس لأنفسهم، أو يجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

وباطنةً: من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، والهداية إلى الحق، وانشراح الصدور، وتيسير الأمور، وإعانة على الدين؛ من رفقةٍ صادقة، وزوجةٍ مؤمنة، وأبناء صالحين، وحب للخير، وتوفيق للعبادة كلها، وغيرها من نعمه عز وجل الباطنة.

أفلا يقوم الناس بعد ذلك بشكرِ ربهم، فلا تحجبهم النِّعم عن المنعم؛ فيشتغلوا بها عن عبادة الله، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل:٦٤]، أإله مع الله يُنزِل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض، ثم يخرج به الزروع والثمار والأزهار، وغير ذلك من ألوان شتى، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١] فلا أحد يخلق ويرزق ويعطي ويمنع، وينصر إلا الله وحده لا شريك له، قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر:٢].



الباب الحادي والعشرون

التفرغ لعبادة الله

من عبد الله بإخلاص وصدق واتباع أعانه الله وأيده وكفاه ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: على قدر عبوديتك لله تكن كفاية الله لك.

يؤكد ذلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣ - ٤] ولهذا شرع الله لعباده أن يقولوا دومًا وفي كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] حيث قدم العبادة على الاستعانة، مع أن الاستعانة من العبادة، بل العبادة غاية والاستعانة وسيلة إليها، وذلك لأن العبادة أعظم ما يعين العبد على أمور دينه ودنياه.

عن أبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٤٦٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (رقم ٤١٠٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥٩).

إضاءة

إن من مقتضيات الإيمان ولوازمه أن يتورَّع المؤمن في رزقه بابتغاء الحلال، واتقاء الحرام، وما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٨]، كلوا من رزق الله الذي ساقه إليكم، بما يسّره جل في علاه من الأسباب، إذا كان حلالًا لا سرقةً ولا غصبًا ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، وكان أيضًا طيبًا، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراعاة حقه، فإنه لا يتم إلا بذلك.

وقد بيّن النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الحرصَ على المال والشرف أكثر إفسادًا للدين من إفساد ذئبين جائعين أرسلا في غنم؛ لأن الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره وذلك مذموم؛ لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعًا، عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[1]. وحين لجأ الفتية المؤمنون إلى الكهف، ذكر الله قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩].

أي: فلينظر أيَّ أهل المدينة أَحَلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه، وهذا يدل على تقوى وورع هؤلاء الفتية المؤمنين، لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال، سواء كان قليلا أو كثيرا.

---

(١) أخرجه أحمد والتِّرمِذي وصححه الألباني.



الباب الثاني والعشرون

الاستغفار

إن الاستغفار تطهّر ونقاء من الذنوب والآثام، ولا يخفى على لبيب أثر الذنوب والأوزار في حرمان العبد من الرزق والتوفيق للخير، أما إذا طهرت النفوس وتحررت من قيود المعاصي وأثقال الآثام؛ فإنها سوف تنشط في سعيها، وبحثها عن رزقها.

وطلَبَ المغفرة من الله فيه دلالة على اعتراف العبد بذنبه، ومعرفته قدرة الله وقوته؛ لذا قال تعالى حكاية عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢] يرسل مطرًا متتابعًا يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد.

ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[١].

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١٥١٨) وابن ماجه (رقم ٣٨١٩).



إضاءة

نهى الله عَزَّوَجَلَّ **عن إضاعة الأموال والأرزاق**، أو التفريط فيها والتلاعب بها، وعن تَمْكين السفهاء من التصرّف في الأموال التي جعلها الله للناس تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء:٥].

و«**السفيه**» هو ضعيف الرأي الذي لا يحسن التصرف بالمال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد، فنهى الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم خشية إفسادها وإتلافها؛ لأن الله سبحانه جعل الأموال قياما لعباده في مصالح دينهم ودنياهم.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لا تَعْمَد إلى مالك وما خَوَّلك الله، وجعله معيشة، فتعطيَه امرأتك أو بَنيكَ، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمْسكْ مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسْوتهم ومؤنتهم ورزقهم. ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يعني في البر والصلة. ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بأن يعِدُوهم -إذا طلبوها- أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم، ونحو ذلك، ويلطفوا لهم في الأقوال جبرًا لخواطرهم.

وفي مقابل إمساك المال والرزق عن الإضاعة، فإن من أعظم ما يحفظ الأرزاق ويبارك فيها إنفاقها فيما أمر الله، لا سيما وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإنفاق من الأرزاق قبل الموت وقيام الساعة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة:٢٥٤]. فإن الإنسان لو أراد أن يفتدي نفسه بملء الأرض ذهبًا - من عذاب يوم القيامة- ما تقبل منه، فإنه يوم لا بيع فيه، ولا نفع حينئذ لخليل ولا صديق ولا شفيع، وهو اليوم الذي فيه يخسر المبطلون، ويحصل الخزي على الظالمين.



الباب الثالث والعشرون

الإحسان إلى الناس ونفعهم

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]

فمن أحسن إلى الناس ورحمهم ووسع عليهم فإنَّ الله يرحمه ويرزقه ويوسع عليه في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(١).

فالتيسير على المعسر، ومعاونته أو ستره أو تنفيس كربته، والتي ربما تكون مالية أو غير ذلك؛ كلُّه يُعدُّ من الإحسان الذي يجلب تيسير الله وعونه للعبد في الحصول على الأرزاق، وتسهيل نيل أسبابها، ثم حفظها من الآفات؛ فضلاً منه تعالى ورحمة، وكل ذلك من سِتر الله للعبد وتوفيقه.



(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٩٩).

إضاءة

المؤمن حقًّا هو الذي ينفق من رزق الله؛ لينال موعود ربِّه عَزَّوَجَلَّ، وقد مدح الله المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم وعدم استئثارهم به دون غيرهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة:٣]. والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة، وسائر الحقوق للعباد، من النفقات الواجبة، كالزكوات والكفارات والنفقة على الزوجات والأقارب وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير. والخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه.

وفي قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضّلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين، وهذا من علامة شكر الله على ما وهب من الأرزاق.

فإنما هذه الأموال ودائع عندك يا ابن آدم، أوشكت أن تفارقها. والإنفاق من علامات كمال الإيمان قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٣-٤]، لهم درجات عند الله عالية بحسب علو أعمالهم. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو ما أعد اللّه لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.



الباب الرابع والعشرون

الإنفاق في سبيل الله والنفقة على العيال

تضعف النفس عند الإنفاق والصدقة، ويعتريها الخوف من نقص المال، وحقيقة الأمر أن المال لا ينقص بالإنفاق: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا نَقصت صَدَقَة من مَال**»(١).

بل إن نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أن ما ينفقه العبد فهو مردود ومخلوف، ومن وراء ذلك تيسير العسير، وسعة الرزق، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢).

فالإنفاق يجلب التيسير في الأرزاق، قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧].

كما أن النفقة يخلفها الله، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٨٨)..

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٤٤٢)، وأخرجه مسلم (رقم ١٠١٠).

إضاءة

إنَّ من صفات أصحابِ العقولِ الرزينة، والآراء السديدة، أنهم ينفقون مما رزقهم الله سرًّا وعلانية؛ سرًّا حيث تقتضي المصلحة الإسرار، وتتجلى في ذلك الموقف المروءة والشهامة، وعلانية حيث تُطلب الأسوة، وتنفذ الشريعة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٢].

والصدقةُ داخلةٌ في وصل ما أمر الله به أن يوصل، وفي الوفاء بتكاليف الميثاق، ولكنَّ السياقَ القرآني يبرزها؛ لأنها الصلة بين عباد الله، التي تجمعهم في الله وهم في نطاق الحياة.

والصدقة تزكي نفس معطيها من البخل، وتزكي نفس آخذها من الغل، وتجعل الحياة في المجتمع المسلم لائقة بالبشر تعاونـًا وتضامنـًا. فإنَّ الإنفاق في سبيل الله من علامات الصدق والإخلاص، فالرزق رزق الله والمال مال الله، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وأي شيء عليهم وأي حرج ومشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها؟! فيجمعون بين الإخلاص والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء:٣٩].

ولما كان الإخلاص سرًّا بين العبد وبين ربه، لا يطّلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

الباب الخامس والعشرون

السَّلام

جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[1].

وقال القائل:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم وُدٌّ فيزرعه التسليم واللطف

فنشر السلام يسلّم الحياة من القسوة والجفاء والجفاف، وذلك مما يطيِّب النفوس ويزرع التعاون والحب والإخاء، وتلك الأمور تزيد المجتمع استقرارًا وعطاءً، فتنشط النفوس للعمل وتزيد روح التكافل، مما يزيد البركة ويوسع الرزق.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٨٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٦١٣).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٩٨) وقال: حسن غريب.

إضاءة

إن من كرم الله عَزَّوَجَلَّ على عبادة أن يُخلف نفقاتهم ويعوضهم عليها خيرا؛ ذلك بأنه هو الرزاق الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ:٣٩].

يبسط الله الأرزاق على بعض خلقه ويُضيقها على أخرين، بحسب مَا لَه في ذلك من الحكمة، والتي لا يدركها غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١]، فالعبرة في الرضا والقناعة والإنفاق في مرضاة الله فأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[(١)].

والكفاف: ما يكف عن الحاجات، ويدفع الضرورات والفاقات، ولا يلحق بأهل الترفهات، فهو الكفاية بلا زيادة ولا نقص، فمن فعل تلك الأمور، واتصف بها، فقد حصل على مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدُّنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به وأباحه لكم، نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، فالله تعالى يخلفه في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، فالإنفاق لا يُنْقِص الرزق، بل إن المنفق موعود بالخلف من الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد ٢/١٦٨(٦٥٧٢) و٢/١٧٢(٦٦٠٩) ومسلم ٣/١٠٢(٢٣٩٠) والتِّرمِذي ٢٣٤٨وابن ماجة ٤١٣٨.

(٢) روي من حديث أبي هريرة و بلال بن رباح و عبد الله بن مسعود و عائشة، عند الطبراني والبزار وأبي يعلى، ينظر تخريجها في السلسلة الصحيحة رقم ٢٢٦١.

الباب السادس والعشرون

التفسح في المجالس

إن كل من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ومن ذلك التفسُّح في المجالس؛ لما في ذلك من التوسعة على العباد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المجادلة: ١١]، فهذا مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة، فقوله: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أي: يفسح الله لكم في رحمته، ويوسع لكم في أرزاقكم.

والمراد: إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه، فالغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان، ومتى رحب القلب اتسع وتسامح، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة، فأفسح لهم في المكان عن رضًا وارتياح، وإن الجزاء من جنس العمل، فإنَّ من فسَّح للناس فسح الله له، ومن وسَّع لأخيه وسَّع الله عليه.

إضاءة

من المغالطات في عدم الإنفاق من رزق الله الاحتجاج بالمشيئة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يس:٤٧]. يقال لهم أنفقوا من الرزق الذي منَّ به اللّه عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ﴾ أيُّها المؤمنون ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث تأمروننا بذلك.

وهذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإنَّ المشيئةَ، ليست حجةً لعاصٍ أبدًا، فإنّه وإن كان ما شاء اللّه كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه تعالى مكَّن العبادَ، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارا منهم، لا جبرًا لهم ولا قهرا.

ومن ضلال المشركين وجهلهم العظيم أنهم يسخِّرون النعم والأرزاق في معصية الله، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل:٥٦]. فهم يجعلون لمعبوداتهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيبا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزق الله على الشرك به، وهو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له.

والرزق من آثار الربوبية الجليَّة، إلا أنهم يعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد والأوثان ما لا يملك شيئا، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل:٧٣]. وهو كما قال سبحانه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢]، وتجعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذِّبون بها وتكفرون؟

الباب السابع والعشرون

الاستقامة

أمر الله عباده بالاستقامة على شرعه، وسؤال الله الهداية لطريق الاستقامة والثبات عليه، ففي كل صلاة، بل وفي كل ركعة يردد المصلّي قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وكذلك هي وصية نبوية عظيمة، حيث جاء من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلا جاء إلى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُل آمَنتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِم»[1].

فبعد تحقق الإيمان لابد من الاستقامة التي تعني لزوم الطاعة والاستجابة لأمر الله ورسوله، وهي تكفل للعبد جلب الأرزاق، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦] أي: أنهم لو استقاموا على طريق الحق والإيمان والهدى لبسطنا لهم في الرزق، ووسعنا لهم في الدنيا.

(١) أخرجه مسلم [٣٨].



إضاءة

بالكفران تزول النعم ويحصل الهلاك، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢].

وهذا مَثلٌ أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنةً مطمئنةً مستقرةً، يُتخطَّف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، لا يُهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية والنعرة العربية فيهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧] فحصل لمكة ما لم يحصل لسواها من الأمن التام والرزق الواسع، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئًا سهلًا وكانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسَّر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرسول الذي يعرفون أمانته وصدقه، والذي يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن سيئها، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ ألبسها وأذاقها الجوع والخوف بعد أن كان يُجبى إليهم ثمرات كل شيء، وبعد الرغد والأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، وبَدَّل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا، ورزقهم بعد العَيْلَة، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم، وسادتهم وقادتهم وأئمتهم.

الباب الثامن والعشرون

النيّة الصالحة

لا شك أن المسلم يسير في حياته عابدًا لله، مستشعرًا مرضاة ربه الرزاق، وتلك العبادة لابد لها من قصد ونية في جميع الأحوال، ونية المرء هي مطيّته نحو الخير والهدى، فوجب أن تلك النية صادقة وصالحة وخالصة لله، حتى في التعامل مع الناس ومع الدينار والدرهم، وهنا تحصل البركة في كسب قلوب الناس وفي كسب الأموال.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[1] فانظر كيف جعل النيَّة الصالحةَ سببًا قويًّا للرزق وأداء الله عن العبد، وجعل النيَّة السيئةَ سببًا للتلف والإتلاف وخسارة الأموال والأرزاق، وربما فساد وتلف العافية وقلة التوفيق في الأمور كلها.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٣٧٨).

إضاءة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه:١٣١].

لا تنظر معجبًا إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الممتعين بالدنيا، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجمَّلة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، وهي زهرة زائلة، ونعمة حائلة؛ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، لنختبرهم بذلك، وتبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها القوم الظالمون الغافلون عن الآخرة، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا يوم القيامة.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ رزقه تعالى وما أعده لعباده المؤمنين، العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم والعيش السليم في جوار الرب الرحيم، ﴿خَيْرٌ﴾ خيرٌ وأعظم بركة ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ لكونه لا ينقطع، ومثله ما ادخره الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحَدّ ولا يوصف، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وإنما جعل الله الدنيا فتنة واختبارًا؛ ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف: ٧-٨].



الباب التاسع والعشرون

إقامة شرع الله

إن تحكيم الشريعة الإسلامية والقيام بكل ما جاء به الإسلام من العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات، حيث تحكيم الخالق الحكيم الحاكم بين العباد، ونبذ حكم المخلوق الضعيف، فإن ذلك يعد بابًا من تلك الأبواب العظيمة لجلب الأرزاق، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ....﴾ [المائدة: ٦٦].

فلا صحة ولا حجة لعاقل في تغيُّر الزمان، أو تطوّر الإنسان وتفرّع الحياة والأمور، بل يبقى حكم الله سائدًا على كل منهج أو قانون، فبحكمته وعلمه أنزل شرعه منهجًا للناس، وجعله تامًّا كاملًا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤].



إضاءة

قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهله من الشام إلى مكة، وترك زوجه تحمل رضيعها إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يكن -حينها- في مكة سكنٌ ولا غذاء، ولا أناس ولا أنيس، فالتجأ الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الرزاق جلَّ في علاه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٧].

ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ من أجل توحيدك، ولكي يؤدوا الصلاة بحدودها، فاجعل قلوب بعض خلقك تَنزع وتحنُّ إليهم، وارزقهم في هذا المكان من أنواع الثمار؛ كي يشكروا لك على عظيم نعمك، وجزيل عطائك وإحسانك.

فاستجاب الله لعبده الخليل ذلك التضرع والدعاء، وعمَّت الخيرات والأرزاق مكة بلا عناء، وأحاطت بها بركات الأرض والسماء من كل مكان، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧]، وهذا من لطف الله تعالى وكرمه ورحمته؛ إذ لم يكن في البلد الحرام شجرة مثمرة، فصار يجبى إليها ثمرات ما حولها، فترى الثمار فيها متوفرة، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب، ثم إن أرض مكة لا تصلح للزراعة، لكن الله وضع فيها بيته العتيق، الذي رفعه وشرَّفه، وجعل فيه سرًا يجذب القلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرًا، فإن العبد كلما أكثر التردد والزيارة لبيت الله الحرام، كلما ازداد شوقه وعظم ولعه، وتاقت روحه ونفسه لتطوف في أرجائه، وترتوي من مائه المبارك، وتكتحل عيناه برؤية بيت الله المشرَّف والمعظَّم، ولذا أضاف الله البيت إلى نفسه المقدسة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .. إنها بركات الرزاق الكريم، وتقدير العزيز الرحيم.

الباب الثلاثون

الحج والعمرة

في العمرة والحج يَقْدُم المسلم على أطهر بقاع الأرض؛ لينال الثواب والبركة المعنويَّة والحسيَّة، فهي أماكن مباركة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وقد بيَّن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضل زيارة تلك البقاع والعمرة والحج؛ وأنه فضل يشمل تكفير الذنوب وحصول الرزق؛ وذلك بذهاب الفقر، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ وَالْفَقْرَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[١].

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٨١٠) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٠٠).

قصة وعبرة

كان قارون من قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد آتاه الله من الأموال والكنوز شيئًا عظيمًا، حتى إنَّ مفاتحه لَيثقل حملها على العدد الكثير من الرجال الأقوياء، ثم إنه تجاوز حدَّه في الكِبْر والتجبر على قومه، وعندما وعظه العقلاء وحذَّروه قال: إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة.

وخرج قارون في يوم من الأيام على قومه وهو في كامل زينته، يريد بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أُعطي قارون من المال والزينة والجاه، إن قارون لذو نصيب عظيم من الدنيا، فقال لهم الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص: ٨٠]، أي: ويلكم! اتقوا الله وأطيعوه، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله وعمل الأعمال الصالحة خيرٌ مما أوتي قارون، ولا يَتقبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه، فغيَّب الله عَزَّوَجَلَّ بقارون وبداره الأرض، فما كان له من جند ينصرونه من دون الله، فصار الذين تمنوا حاله بالأمس معتبرين، بل وخائفين من وقوع العذاب بهم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص:٨٢].

إن الله يوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَن يشاء منهم، فإن كثرة المال أو قلته لا يدلُّ على رضا الله أو سخطه على عباده؛ فإن الله يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

ولذلك أدرك المؤمنون تلك الحكمة واطمأنت نفوسهم لتقدير العزيز الحكيم، وهم يرون ما حلَّ بقارون وبداره، فقالوا معترفين ومعتبرين: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢]، لولا أن الله أكرم وتفضل علينا لعاقبنا وخسف بنا كما فعل بقارون، إنه لا يفلح الكافرون، في الدنيا ولا في الآخرة.

إن من لطف الله بعباده أنه تعالى لا يوسع عليهم الدنيا سعة تضر بدينهم؛ إذ لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق؛ لحملهم ذلك على البغي والطغيان أشرًا وبطرًا، ولغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجب لهم ذلك الانكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصيةً وظلمًا، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى:٢٧].

أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره لهم مما فيه صلاحهم، بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك.

وجاء عن حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، إِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، الَّذِي قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. متفق عليه[1].

ثم إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، والله فَضَّل بعضِ خلقه على بعض فيما أعطاهم في الدنيا من الرزق، فمنهم غني ومنهم فقير، وتفاضل الناس في ذلك غير جار على رغباتهم ولا على استحقاقهم، فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلا وفهما مقتَّرًا عليه في الرزق، وبضدّه ترى أجهل الناس وأقلّهم تدبيرًا موسّعًا عليه في الرزق، وكلا الرجلين قد حصل له ما حصل قضاءً وقدرًا من الله، فالـمُقتَّر عليه لا يعلم أسباب التّقتير، والـمُوسَّع عليه لا يدرك أسباب التيسير، ذلك لأن الأسباب كثيرة متوالدة ومتسلسلة ومتوغّلة في الخفاء حتى يُظن أن أسباب الأمرين مفقودة وما هي بمفقودة ولكنها غير مُحاط بها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل: ٧٠-٧١].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٠) ومسلم (١٠٥٢).



همسة ختام

أخي المبارك، ما حالك لو أن ملكًا من ملوك الدنيا دعاك لضيافته ووعدك بأطيب عشاء، وأنت تعرف بأنه ملك قادر، وصادق لا يخلف الوعد؟ ألست تثق بوعده، وتطمئن لقوله، ولا تهتم لعشائك تلك الليلة؟ فما بالك إذا كان الله تعالى وهو ملك الملوك قد ضمن رزقك في كتابه وتكفَّل لك به؟! ألا تشعر بالسكينة والطمأنينة حينئذ؟

إنه سبحانه اللطيف الرزاق، الذي يرزق الخلق جميعًا، ولا ينسى منهم أحدًا، وهو الواسع الحليم الذي يوسِّع الأرزاق على من يشاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الشورى:١٩].

امتن على عباده بالأرزاق العظيمة، والآلاء الجسيمة ولا يمكن وصولها إلا بإذنه وأمره وقدرته ومشيئته، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١]، من غير الله يقوم بإنزال الأرزاق من السَّماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟! من الذي أنزل ماء المطر من السماء، وشقَّ الأرض بقدرته بلا عناء، وبقدرته فلق الحب والنوى؛ رزقًا للعباد، قال سبحانه: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤- ٣٢].

إنه الله، الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، هو وحده المتصرف الذي له الملك والتدبير، وهو وحده الحاكم الذي لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].





خاتمة

اللهم ارزقنا رزقًا واسعًا ..

وأغننا بحلالك عن حرامك ..

وبفضلك عمّن سِواك ..

واجعلنا أغنى خلقك بك ..

وأفقَر عبادك إليك ..

إنك أنت الرزّاق الكريم ..

وأنت وَحدك خير الرازقين ..

أسأل الله لي ولكم الهداية والسداد،

إنه المعين الرزّاق، والهادي إلى سواء السبيل.



فهرس الموضوعات



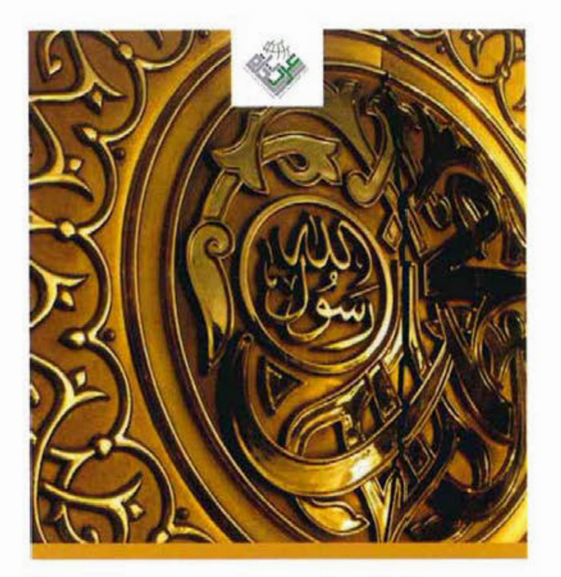
الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة









30 باباً لجلب الرزق

تأليف :
أنور بن إبراهيم النبراوي
باحث في الدراسات القرآنية والتربوية

30 باباً لجلب الرزق

إضاءة

جاء هذا الكتاب

مؤكداً - على أن الله وحده هو الرزاق القوي القادر الذي يبسط الرزق ويقدر .

و مقرراً - بأن الأرزاق لا تطلب إلا من الله عز وجل .

و مبيناً - أن الله هو المستحق للشكر ، فلا تسخر الأرزاق إلا في طاعته و مرضاته .

و متأملاً - في نصوص القرآن والسنة في قضية الرزق بإلماحة موجزة ، وإشارة معتبرة .

و مذكراً - بعبادات هي أبواب و مفاتيح تجلب الأرزاق و توسعها



هاتف : ٤٣٩١٩٤٢ فاكس : ٤٣٩١٨٥١ صندوق البريد : ١٥٤٤٨٨
البريد الإلكتروني:western.dirah@gmail.com الموقع:www.deradawa.org

